من وراء البحار

الموسيقى فى ألمانيا

إنه لما يسر المحبين للانسانية أن يسمعوا بأن الالمان أخذوا يستيقظون تدريجيا من آثار الهزيمة . ففى عدد ديسمبر من مجلة «القرن التاسع عشر» الانجليزية وصف للحياة الموسيقية فى ألمانيا بقلم جاك بورنوف. ومن هذا الوصف يتبين لنا المجهود الذى يبذل للعودة إلى الحياة العادية . ويصف الكاتب بنوع خاص ما يجرى فى منطقة الاحتلال البريطانية . على أنه يحذرنا فى بدء مقاله من اتخاذ مظهر الالمان وإقبالهم على مؤلفات موسيقية خاصة دليلا على اتجاه جديد . فقد اعتاد الالمان فى مدى اثنى عشر عاما أن يلقنوا الآراء التى يبدونها . وهم لا يزالون إلى حد كبير معتادين ذلك ، وليس من السهل إقلاعهم عن هذه العادة . ثم يؤثرون أن يتجهوا اتجاهات صاحب السلطان فى ميولهم . ولذلك نرى أن مؤلفات الموسيقيين البريطانيين سارلها مكان بارز فى المنطقة البريطانية ، بسبب رغبة السلطات فى ذلك ، وبسبب رغبة الالمان فى إرضاء هذه السلطات .

لقد وقفت الحياة الموسيقية فى ألمانيا وقوفا تاما اثر القسايم ، بسبب تدمير أكثر دور التمثيل الموسيقى والحفلات الموسيقية . وانصراف الناس إلى تدبير الضروريات لحياتهم . ولكن الموسيقى الآن استيقظت بأكثر مما يتناسب مع الحياة الاقتصادية . والسبب فى هذه اليقظة يرجع إلى عوامل ثلاثة : أولها المساعدة التى يلقاها هذا النشاط من القوات المحتلة فى المناطق الاربع . ثم نشاط الالمان ودأبهم كدأب النمل فى عمله . ثم إخلاص الالمان للموسيقى وتعلقهم بها .

وصارت همبرج الآن مركز النشاط الثقافى فى المنطقة البريطانية ، وقد أقيمت فيها أول حفلة موسيقية عامة بعد خمسة أسابيع من الاحتلال أقامتها فرقة فيلهرمونيك بهمبرج فى قاعة كبيرة لم يصبها شئ من الدمار . وكثيراً ما أشيع فى الخارج يومئذ أن الاحتلال شرد الكثير من الموسيقيين ، والواقع غير ذلك . ولم تفقد الجوقة الموسيقية من أعضائها أكثر من بضعة عشر موسيقيا . وهذا هو السبب فى المستوى الرفيع الذى ظل محتفظاً به بين العازفين الالمان فى هذه الحفلة ، وإن كان قائد الجوقة ضعيفاً . وما انتهى خريف ذلك العام حتى كانت تعمل فى همبرج فرقتان موسيقيتان ، وهما فيلهرمونك والاركسترة السنفونية لشبكة محطات الراديو فى الشمال الغربى لالمانيا ، وهى فرقة أنشأتها السلطات البريطانية .

على أن همبرج تأخرت عن المدن الاخرى فى المنطقة البريطانية وفى غيرها من مناطق الاحتلال فى تمثيل الروايات الموسيقية «الأوبرا» ، ومع ذلك استأنفت هذا النشاط فى شهر يناير الماضى ، وهو مما لا يكاد يصدق إذا لاحظنا الاحوال التى كانت سائدة عندئذ ؛ فقد احترق قسم الجمهور من مسرح الأوبرا الحكومى ، ولكن القسم الباقى فيما وراء الستار الحديدى ، وهو الخاص بمسرح من أكبر المسارح الاوربية ، وفيه معدات من أحدث ما يستعمل ، ظل سليما . ولما كانت مواد البناء قليلة فقد تعذر بناء قسم وقتى للجمهور مع استعمال ماسلم من المسرح . وعلى ذلك أقيم فى الجانب الاخر مكان يسع

ستمائة متفرج ، ومكان للجوقة الموسيقية يسع نحو ستين عازفا . ومن الغريب أن هذا البناء الخشبي كان آية فى نقل الصوت .

ومما يدل على نهضة الحياة الثقافية فى همبرج أن أقيمت فى يونية الماضى سلسلة حفلات موسيقية ومسرحية ، وكان المستوى فيها عاليا بحيث تعتبر حدثا جديرا بالذكر فى أى وقت من اوقات السلم . وعزفت قطع موسيقية مختلفة ، ومثلت روايات موسيقية عدة منها رواية پرسل الموسيقار الانجليزى القديم : «ديدو وإنياس» ، والرواية الراقصة للموسيقار الألمانى هندمث : « الحيال البديل » ولعل المانيا لم تعهد فى السنوات الأخيرة مايماثل برامج هذه الحفلات فى حسن لاختيار .

ولا يقتصر النشاط فى المنطقة البريطانية على همبرج وحدها ، ففى كولونى مدينة نهر الراين ، حيث تهدم أكثر الدور ، استعملت القاعة الكبرى فى الجامعة للحفلات الموسيقية وتمثيل «الأوبرا» ، وأعيد تأليف فرقة « جورزنيخ » الموسيقية ، وإن كانت القاعة الشهيرة الذى استمدت الفرقة منها هذا الاسم قد دمرت . وفى برنسڤيك نشط المدير الموسيقى هانز شتروهباخ فأخرج بعض المؤلفات الحديثة .

والحال فى المناطق الأخرى لا تقل عن المنطقة البريطانية ، ففى مونيخ عزفت عدة مؤلفات موسيقية كبيرة ، من بينها السنفونية الثانية من تأليف ماهلر ، وهى تحتاج لفرقة موسيقية وجوقة غنائية . وفى برلين استأنف كل من فرقة الأوبرا الحكومية ، وهى واقعة فى المنطقة الروسية ، وفرقة أوبرا شرلوتنبرج الواقعة فى المنطقة البريطانية ، نشاطهما فى مسارح أخرى . وخسرت فرقة فيلهرمونك برلين بعض أعضائها بسبب نظام التطهير من النازية ، ولكن مستواها لم يزل عن عادته . ومما هو جدير بالذكر أن السواد الأعظم من مهرة العازفين لم يكونوا من النازى إلا بالاسم . وأكبر قواد هذه الفرقة الشهيرة هو الآن شاب روماني اسمه سرجيو سليبداك . ولكن الناس يلحون فى عودة فورتفانجلر .

ولقد قوبلت سياسة تشجيع الموسيقى من الموسيقيين الالمان بالترحاب ، لأنهم استطاعوا الآن ان يتنفسوا ريح العالم الخارجى . وهم منصرفون إلى تعرف المؤلفات الموسيقية التى كانت محرمة عليهم فى عهد النازى ، واكتشاف المؤلفات التى كانت مهملة ، ولقد أبدى أحد مشاهير العازفين على البيانو حماسة كبيرة فى العودة إلى أناشيد شومان المسماة «حب شعر» وكانت هذه الاناشيد محرمة ، لأن صاحب الشعر هو هينى الشاعر الألمانى اليهودى . وتعزف الآن فى كل الأماكن قطعة مندلسوهن للكمنجة وهى أيضا كانت محرمة بسبب أصل مؤلفها . ومما يلاحظ بهذه المناسبة ان نسبة الذين يجيدون العزف على الكمنجة من اليهود كبيرة . ولذلك لم يبق فى المانيا من مشاهير العازفين على هذه الآلة الموسيقية غير قلائل . ومما يلاحظ أيضا أن المانيا لم تحدث حدثا جديدا فى التأليف الموسيقى أثناء السنوات العشر الأخيرة ، وأن المؤلفين المعاصرين متأخرون عن أقرانهم فى البلاد الأخرى ، ما عدا الموسيقار ريكارد شتراوس ، الذى بلغ الآن الثانية والثمانين من العمر ، وهو يشرف على تقلبات الحياة الألمانية من علٍ . لذلك قامت الدوائر الموسيقية مؤلفات الموسيقيين الألمان الذين عاشوا خارج ألمانيا باهتمام . ويتوجه هذا الاهتمام بصفة خاصة إلى هندمث ، فمؤلفاته تسمع فى كل مكان . وقد دعى إلى برلين ليتولى إدارة الأكاديمية الموسيقية . واهتم الموسيقيون أيضا بمؤلفات ستراڤنسكى . ويهتمون أيضاً بمؤلفات المعاصرين من الروس .

والظاهر أن السلطات المحتلة فى جميع المناطق تتبع طرقا واحدة فى تشجيع النشاط الموسيقى ،

والخلاف بين هذه السلطات أقل فى هذا الناحية منه فى نواح أخرى . على أن فكرة تطهير الحياة الموسيقية من النازى قد بولغ فيها فى بعض المناطق . ولذلك نجد مثلا أن المنطقة البريطانية طردت جماعة من أمهر المازفين وهم الآن يبدون نشاطا موسيقيا كبيراً فى المنطقة الفرنسية ، فى حين أن الروس احتفظوا بجميع مشاهير المغنين فى دار الأوبرا مع أنهم كانوا مشهورين بميولهم النازية . والأمريكان أيضاً يعملون على إبعاد الموسيقيين الذين شغلوا مركزاً هاما فى زمن النازى . ولقد تضايق الألمان من إبعادهم الموسيقار فورتفانجلر مع أنه نال شهرته حتى قبل عهد النازى ، و تزال شهرته كبيرة حتى الآن ، ومع أنه اظهر شجاعة فى أول عهد النازى حين رفض أن يفصل اليهود من أعضاء فرقته الموسيقية واستقال من منصب ثقافى كبير فى سبيل الدفاع عن الموسيقى هندمث . وإذا كان قد شغل فيما بعد مكانا بارزاً فى حياة الموسيقى فى عهد النازى ، فذلك بسبب كفايته الممتازة ، ولا يعرف عنه أنه اهتم بالسياسة .

وهكذا نرى الألمان فى محنتهم لم ينسوا الموسيقى وما لها من تأثير كبير فى حياتهم اليومية .

فن الحديث الصحفى

كتب إميل لدفيج الكاتب الألمانى الشهير مقالا ممتعا فى مجلة « ريفى دى پارى » — عدد ديسمبر سنة ١٩٤٦ — عن فن الأحاديث الصحفية وهو يرى أن هذا الفن من أمتع الوسائل الصحفية و ظرفها ، وأنه ليس مجرد نقل حديث كما قيل حرفيا بل إنه يحتاج إلى فن وأسلوب أكثر مما يعتقده القارئ العادى .

وأول خطوة فى هذا الفن هو إظهار البساطة ، وذلك ما يمتاز به الصحفيون الأمريكيون . فان مشاهير الرجال يؤثرون بأجاديثهم للصحفى البسيط على الرجل المتعالم الذى يناقشهم القول .

وذكر الكاتب أمثلة من حياته عندما كان صحفيا مبتدئاً أثناء الحرب العالمية الأولى ؛ إذ عهد إليه فى التحدث إلى عدد كبير من الأمراء والقواد ورجال السياسة ؛ وكان قليل العلم بأمور السياسة ، فكان يوجه إليهم فى بساطة أسئلة يتحاشاها عادة العالم بالأمور . كان يسأل أحدهم لماذا تصرف أمس مثل هذا التصرف ، فكان بمثل هذه الأسئلة البسيطة يفتح له القائد أو السياسى قلبه .

ويقول لدفيج إن من الواجب على الصحفى أن يدرس أخلاق العظم الذى يريد أن يتحدث إليه بكل الوسائل الممكنة . والصور الفوتوغرافية هى ضرورة أساسية ؛ ففيها تظهر خصائص الرجل على وجهه بالرغم من إرادته .

ومن الواجب على الصحفى أن يجذب إليه اهتمام المسئول ، فلا يقنع بمجرد السؤال والجواب ، إذ من الخير فى هذه الحالة أن نفضل الأسطوانة الحاكية . فليس الغرض أن يذكر المتكلم آراءه بل الغرض الحقيقى هو طريقة الحديث وحالته العقلية عند الافضاء بالحديث . فقد لا يهمنا سؤال مركونى مثلا ماهى عواطفك عند اكتشافك التلغراف اللاسلكى ، بقدر مايهمنا سؤاله كيف حدث أن قضيت أنت وغيرك من العلماء سنين عديدة إلى جانب هذا الاختراع .

وذكر لدفيج أنه استطاع أن يمضى عدة أيام فى حديث مع أديسون المخترع الشهير

وأخذ منه أجل الاجابات ، وذلك لأنه لم يمس قط الجانب الفنى . وقد وجد فيه رجلا ذا شعور حساس ، تكفى مجرد الاشارة ليفتح كنوز عقله . فى ذات مرة كان يتحدث إليه فى وحدات ليبنتز وشبهها بما كان من أمر فاوست . وعلى حين فجأة أمسك بيد امرأته التى كانت جالسة إلى جانبه وقال ضاحكا : « وهذه هى مرجريت » .

ويجب ألا يتحدث الصحفى إلى المثرى الكبير فى أمر قيمة النقود ، بل يدفعه إلى الكلام فى هذا الأمر بوسيلة أخرى . وروى لدقيج أنه دفع روكفلر مرة إلى هذا الحديث بأن قص عليه مسامعه قصة صغيرة . وتحدث لدقيج مرة إلى ميلون الثرى الصموت وصاحب البواخر العديدة ولقبه فى أثناء الحديث بتاجر البندقية ، فكأنه فك بذلك عقدة لسانه وسمع منه أبدع القصص عن بواخره وثروته .

وكان يتعشى ذات مرة فى نيويورك مع عشرين من كبار الرجال ذوى النفوذ فى مريكا ، وكان هو الوحيد بينهم الذى لا يملك مالا ، وقد أراد أن يصل إلى قصص ارتقائهم ، فروى كيف قام ذات مرة فى سويسرا برحلة لارتقاء الجبل الأبيض الشهير ، وكيف بلغ القمة بعد تعب كبير ، ولكن الجو كان بارداً والهواء لاذعا ، فنزل فى أسرع وقت . ووجه إليهم الحديث سائلا هل هذا شأنهم فى علومهم الآن ؟ فنظروا إليه وكأنما كانوا ينظرون إلى معتوه ، ثم أخذ الواحد منهم بعد الآخر ، ومنهم شواب وكاهن ولورز ولامونت ، يروى كيف تسلق قمة المجد فى صعوبة وتعب ، ولكنه حين بلغها ، وجد الدفء والسماء الصافية . وكانوا بعد ذلك يفتحون له قلوبهم فى كل فرصة .

فالواجب إذن على الصحفى المتحدث أن يظهر شيئاً من البساطة بل الغفلة . وقد حدث لدقيج ذات مرة أن دفع هنرى فورد القليل الكلام إلى التطلق بعبارة تسترعى النظر . فقد كانا سائرين فى الطريق ، فرأى لدقيج سيارة صغيرة فاخذ يمتدحها ، ولكنه سأل سؤال المتجاهل : « أظن هذه السيارة أكبر بعض الشئ من النموذج الذى تخرجه مصانعك ؟ » فاستولى على فورد شعور الأم التى ترى تجاهل أبنائها فتحركت عيناه حركة خاصة ، وقال : « إنها إحدى سياراتى . لقد أخرجت ١٤ مليوناً مثلها » وفى هذه العبارة القصيرة وصف حياة جد طويلة ودل على خيال واسع .

ومن الطرق التى يراها نافعة للصحفى المتحدث إذا أراد مقابلة عظيم أن يتعرف إلى خصومه ، والغرض من ذلك لا تصديق أقوالهم فيه بل معرفة مالديه من المسائل الحساسة التى تثيره وتدفعه إلى الرغبة فى الحديث ويجب ألا يشتم العظيم رائحة الخصوم ، بل يجب الحذر غاية الحذر فى هذا الأمر ، فقد حدث أن قابل صحفى المانى موسوليني وسأله « ماذا يحدث يا صاحب السمو بعد وفاتك ؟ » فانتهت المقابلة عند هذا الحد !

ولعل الصحفى الذى خبر التأليف للمسرح يكون فى يده سلاح قوى ، فالكتابة للمسرح تقتضى إدارة الحوار فى مهارة وبطريقة نفسانية ، وإن كان المتحدث لا يذكر الحوادث الماضية كما يفعل المؤلف المسرحى . فقد ذهب لدقيج ذات مرة إلى لندن خاصة ليحادث لورد جراى وزير الخارجية البريطانية عند ما أعلنت حرب سنة ١٩١٤ على ألمانيا ، واحتسم به فى حفلة غداء ، ودار الحديث على جلسة مجلس العموم فى اليوم السابق . وقد جاء فيه ذكر خلاف برز بين الوزراء ، وأخذ لورد جراى يشرح الموقف ، فقال لدقيج وكأنه يتحدث لنفسه : « هذا شبيه بموقف بوليه سنة ١٩١٤ » وقال هذه العبارة فى صوت خفيض ولكنه مسموع ، وإذا باللورد بعد الغداء ينتحى به

ناحية ويتكلم فى اسهاب ليسوغ موقفه فى تلك الفترة الخطيرة ، وكيف أنه لم يكن ليستطيع منع سير الحوادث إلى الحرب . ولو ان لدفيج ذكر هذا الخلاف رساً للورد على صورة سؤال لتلقى ردا قصيرا فاتراً ولما استرسل اللورد فى الحديث .

وكثيراً ما تكون العبارة القصيرة التى تلقى إلقاء أبلغ أثراً من الأسئلة الطويلة فى اجتداب الحديث . ولذلك ربما كان الصحفى الصموت القوى الملاحظة أنفع من الصحفى الذرب اللسان الذى لا يلاحظ الظروف والواقع أن الأذن تخطىء أكثر من العين . ولقد لاحظ لودفيج ذات مرة كالفين رئيس الجمهوريات السوفيتية فى مأدبة فخمة فيها الوان من الطعام الشهى يكتفى بحساء بسيط ، مما يدل على أن هذا المزارع أصلا لا يزال محافظ على التقشف . كما رأى تروتسكى ذات مرة يغلق نافذة فى عناية بالغة مما يدل على أنه رجل عمل قبل أن يكون رجل نظريات وفلسفة . ولاحظ أيضا أن جميع الدكتاتوريين تكون أيديهم عادة ناعمة وممتنى بها بالرغم من أنهم قضوا زمناً عمالا ، وذلك يدل على انصرافهم للتفكير أكثر من العمل . وفى سنة ١٩١٦ كان حاضراً وليمة عشاء ، فلاحظ نظرة ألقاها الجنرال فون سيكت الألمانى على رئيسه فون ماكنزن ، ومن هذه النظرة عرف أنهما على غير وفاق ، وظهر عدوهما سافراً فيما بعد .

ومن الصعب إيجاد الاتصال الواجب إذا كان المتحدثون من ذوى المراكز العالية . فستالين مثلا كانت تترجم له أقوال محدثيه وذلك مما يجعل الاتصال الشخصى يكاد يكون مستحيلا . أما الملك فيكتور عمانويل ملك إيطاليا السابق فقد حادثه لدفيج باللغة الايطالية ولكنه ظل متحفظاً ، ودار الحديث على بسمارك الوزير الألمانى شهير . فقال الملك : « إنه عمل كل شىء بمفرده » ، وحينئذ قال لدفيج إن الفضل للامبراطور غليوم الأول الذى اختاره . فسأله الملك فجأة : « هل اختاره حقا ؟ » ومن هذا السؤال عرف الصحفى مركز الملك من وزيره موسولينى .

وفى سنة ١٩٣٢ أراد لدفيج أن يضع كتابا عن موسولينى ، فظل مقيما فى روما واستأذن الدكتاتور فى أن يلازمه بعد الظهر مدة أسبوعين ويحدثه مرات ، وكان قد أعد سلسلة من الأسئلة والاجابات المحتملة عنها ، وكان يسجل كل عبارة وكل تغير فى ملامحه أو إشارة من يده ، وكان موسولينى يجيبه إجابات واضحة . وقد شعر بالتعب من هذه الجلسات أكثر مما ظهر على الزعيم الايطالى . وكان الزعيم يقبل معارضته له فى بعض المسائل بسعة صدر على أن لدفيج كان لا يعارضه فى حضرة ثالث .

ومما يرتاح له الدكتاتوريون أن يقارن بينهم وبين نابليون وقد تمكن لدفيج بعمل هذه المقارنة من أن يجتذب إليه الزعيم التركى كمال باشا ، فانطلق لسانه فى الحديث وأخذ يشرح بعض نقائص نابليون وكيف يمكن اجتناب مصيره

وقابل لدفيج فى سنة ١٩١٥ زعيما تركيا آخر هو أنور باشا وأراد أن يجرى تجربة معه ، فبينما هو يتحدث إذ بالصحفى يضع يده فى جيبه فجأة ، فاذا بالزعيم يفعل مثله . وكان من الظاهر أن الزعيم قبض على مسدس فى جيبه إذ خشى الاعتداء عليه . وقد جرب الصحفى مثل هذه التجربة مع ستالين وموسولينى ولكنهما كانا ثابتى الجنان مع أنهما يحملان سلاحا بلا ريب ، ولكنهما كانا من النباهة بحيث فهما أن الصحفى إنما أقدم على تجربا .

وسأله ستالين سؤالا عجيبا ذات مرة بعد أن قضى معه ثلاث ساعات . فقد قال له : أحب أنا أيضا أن أوجه إليك سؤالا هاما . إنك ستربح نقوداً بفضل هذا الحديث . فهل أنت على استعداد لهبة شىء من المال الذى

تربحه للأطفال الألمان الموزين ؟ وقد دفع لدقيج بعد ذلك ، إذ ربح شيئا من المال ، جزءاً منه لجميات الأطفال ، وارسل الايصال للزعيم الروسى .

ويقول لدقيج إن قداسة البابا هو آخر زعيم يحتفظ بتقاليد الماضى . إذ يجب لمقابلته الذهاب فى سترة سوداء عند الظهر و لركوع والانتظار حتى يسمح لمحدثه بالقيام إذا رغب فى ذلك . وكان البابا السابق يترك محدثه راكعا ، وبذلك كان الحديث يكاد يكون مستحيلا . أما البابا بنديتو الخامس عشر فهو سياسى قدير وسيد كبير . كان يتحدث بحماسة فى الموضوع السياسى الذى يثار بقوة وحرارة .

وكان رُوزفت طبيعيا فى حديثه ويحب الفكاهة والنكات . ولكن يجب أن يظهر المتحدث لباقة ، فقد لمح أحد الحضور ذات مرة بين يديه إلى فضائح تعزى إليه فى شيكاغو عند ما رأى تبسطه فى الحديث فامتنع لونه امتقاعا شديدا .

ويعتبر هنرى والاس الآن من خيرة رجال الولايات التحدة ، وهو أيضا من الذين يحبون الفكاهة ، وهو يستطيع التحدث إلى الفلاحين وعامة النـاس والاختلاط بهم فى بساطة .

والجنرال باتون يكلف بالتصنع ، ومع ذلك لا يتحرج من السخرية من نفسه ، فقد روى لدقيج ذات مرة أنه عند ما عبر نهر الراين فى سنة ١٩٤٤ ارتمى على الأرض كما فعل سيبيون القائد الرومانى ، وقال إنه فعل ذلك تقليداً للأسطورة .

وحدث للصحفى لدقيج ذات مرة حادث غريب ، وهو أنه قابل هنرى بوردو الكاتب الفرنسى المعروف ، وكان الحديث ظريفاً طبعا ولكن عندما خاضا فى السياسة أبدى الكاتب الفرنسى تحفظا فأفهمه لدقيج أنه لا ينوى نشر هذا الحديث السياسى وأخذ لدقيج يكلمه فى بساطة . وبعد بضعة أيام يجد هنرى آراءه منشورة فى إحدى المجلات الباريسية ، فاذ بالرجل الذى ظنه خائفاً فوعده أن لا يفضى بشىء قد خدعه وأخذ منه حديثا .